المرحوم ...

قصة جديدة بقلم سعيد تقي الدين

من عادة اهل « الشوف » في لبنان ان لا يذكروا الميت إلا بخشوع ، فهو على شفاههم « المرحوم » قبل اسمه . وهم فيما يصلون على جثته قبل دفنها يعددون مزاياه ويبتهلون : رحمه الله.

*

مشى ابو توفيق حمد الساقي في كرمه – كرم الهدهد – يتطلع الى اشجاره كأنه ضابط يستعرض جنوده . وأجال نظره في الزيتونات كأنه يعدّها . ولعله اطمأن الى انها ما زالت ٦٨ شجرة – كذا كانت في صباح البارحة – وان دواليه الاحدى عشرة ما زالت مثقلة بالعناقيد السوداء والصفراء ، بل ان حباتها انتفخت قليلاً وتجوهرت وصفت . والمرة المليون تطلع في الناحية الشرقية من اعالي الدالية الخريفية ، ففرك عينيه كأن فيهما قذى ، وهز رأسه متحسراً – ترى هل غفل عن رشها بالكبريت ايام الربيع فجاءت العناقيد مخروبة ؟ وتنهد مشيحاً بوجهه عن المنظر البشع الخراب – عناقيد متهرئة – الى حيث تمددت في الجلّ حبال مورقة خضراء ، فانتقل اليها ينحني ويكشف الاوراق عن الخيار والكوسا ، برفق الام ترفع اللحاف عن وجه طفلها الحالم . فلما انتهى من طوافه ايقن انه سيقطف في غد صحارتين يحملهما الى « عاليه » مدينة الاصطياف فيبيعهما بالسعر الغالي – من يدري ؟ فقد يظفر بمصطافين من الكويت يدفعون اربعين قرشاً للكيلو – ثم ابتسم ، بل ارتعش قلبه اذ رأى على الارض ظلا كبيراً يسير – اذاً ففي الجو غيوم ، وقضبان الدبق التي دسها بين اغصان التين ستبقى لزجة تلتقط العصافير ، وتلك التي نشرها في اعالي اشجار البطم والملول ستمسك بريش طيور « الوروار » حين تجثم عليها فتأسرها . وفطن الى ما يجب ان يفعل ، فقصد الى كومة البلان وطمسها بروث البقر الجاف واشعل النار كي يعلو الدخان ، حتى اذا مرت عصائب « الوروار » حوّمت ثم انقضت الى حيث الدخان – « فالوروار » تعلم انه حيث ينتشر الدخان ، يكثر النحل ، طعام « الوروار » المفضل .

وشعر ابو توفيق بالجوع بعد هذه الجولة الصباحية ، فعمد الى حمل دلوه الفارغ الذي سقى به تفاحاته الحبيبات – ٤٦ شجرة ، سبحان الخالق – فلقد ارتوت . ثم خطا الى طرف الحقل فانحنى وقطف رأساً من البندورة ، وانحدر الى حيث قام بيته ، وهو قبو مؤلف من غرفة يعيش فيها وحيدا . هناك كانت تنتظره ترويقته من الخبز المرقوق المستدير والزيتون الفاخر والبصل المتدلي من المجدال ، وستكتمل وجبته الصباحية بهذه البندورة الفعمة السمينة المستديرة الحمراء .

وهمّ بان يدخل القبو سعيداً ، لولا شبح من حقد وكراهية واجهه ، فحدق العدو بالعدو هماماً من لحظة ، ثم تسارعا الى إلقاء تحية الصباح – ابو توفيق وخصمه الابدي ناطور الضيعة – وتحدث الخصمان حديثاً خاطفاً غلفته الكياسة الجبلية . فلولا تأدب الجبليين بالحديث وممارستهم لمظاهر الاحترام لأفنى بعضهم بعضاً ، فان نفوسهم يغمرها الحقد والتحاسد والتباغض ، ولا تردعهم عن الاصطدام المستمر الا آداب السلوك والكلام ، كأن الحياة التي سممتهم بالعداء يسّرت لهم الكياسة النطقية وقاية من الكوارث .

وتقاذف الرجلان الحديث دقائق عن الطقس والموسم واخبار المغتربين . واراد ابو توفيق ان ينهي المقابلة ، فألح على الناطور بالدخول معه ليشاطره الترويقة ، فاعتذر هذا بقوله انه على موعد مع جار له ينتظر عند « عين الوادي » ليتحدثا بامر ملح ، وانصرف ...

وقد اثارت رؤية الناطور في نفس ابو توفيق عاصفة من لكره والغضب ، فاقبل يحزّ البندورة بشراسة كأنها قلب الناطور ، ويهوي بقبضته على البصلة كأنها رأس خصمه ، ويمزق رغيف الخبز كأنه لحم عدوه . انه يدري ما سيتحدث به الناطور على العين مع الرجل الذي واعده . سيقول ، بل سيردد ما اختلقه من اكاذيب عن صاحب كرم الهدهد . سيتطلع الى الحقل ويسخر : « ابو توفيق حمد الساقي ، هذا اكبر لص عرفته الضيعة . من اين له كل هذه الأموال ؟ اراهن ان في صندوقه ٦٠٠ ليرا ، هذا الاناني الذي لا يدفع رسوم الحراسة بحجة انه ساكن في ارضه فلا يحتاج الى ناطور . هذا اللئيم الذي اعتزل الضيعة وترك بيته فيها ليعيش في البراري . هذا البخيل الذي لم يتزوج بعد وفاة امرأته ، فنشأ وحيده توفيق كهرّ برّي لا تربية ولا اخلاق ، يقضي نهاره يستمع الى الراديو ويوزع الآراء

السياسية ، ويتحدى الناس الى القتال ، ويملأ دويّ اساجتـــه الضيعة ، فهو ابداً يجرب مسدساً جديداً او يطلق مترليوزه ابتهاجاً لفوز متزعم او احتجاجاً على فشل متزعم . يا ويل هذا الأب الكافر من غضب الجبار حين يحاسبه ربه ، كيف اتقن تعهد ارضه واهمل تربية ولده ! »

وفيما ابوتوفيق يقضم ترويقته بحنق ، كان يرد على هـــذه الاتهامات بصمت فصيح : « هذا الجندب – هكذا كان يلقب عدوه الناطور – لا يدري كيف تجود الارض على من يجود عليها . انه لا يعرف ان زيتوني لا يمحل لأني احرثه وانخـــل ترابه وأعجنه بالسماد . وهو ينسى كيف أنصب البلان شركاً في المسيل لصيد حبات الزيتون التي تحملها المياه حين طوفان الامطار. وهو يجهل متى يحسن بيع الزيت ، وما هو الفرق في الدخل بين بيع الغلة زيتاً لتاجر او زيتوناً اخضر في البيوت . وكم هو اربح بيع المحصول للمصطافين لا لمعلمي الخضار . وكم تدفع الحاملات في وحـــامهن ثمناً للحصرم . وكيف تكافح الحشرات فتأتي اثمار التفاح كبيرة موردة شهية . ومـا يعرف هذا الجندب عن تربية النحل ؟ – وعندي منها ١٢ قفيراً – وكم يدفع السعوديون المصطافون ثمناً للقرص الواحد من عسله ؟ بلى هذا الجندب القفاز ، ما يدريه من امور الحراثة والزراعة وتربية الدجاج ؟ انه يحسدني على ٦٠٠ ليرا يحسب اني املكها – وتطلع ابو توفيق في الصندوق المتكيء الى زاوية في القبو – تراه مـا يقول لو علم ان هنا ١٤٦٧ ورقة و٢٦ ذهبية ؟ وابتسم .. اما توفيق – وتنهد الأب مقاطعاً نفسه : الله يحقه ! – فقد ارسلته للمدرسة صغيراً فما نفع . وها هو اليوم يسعى جهده للدخول في خدمة الجيش او الدرك ، وما هو بشرير ، فالعراك والقتـال والمشاكل من عادة الشبان ، وسيأتي يوم يروق فيه ويستقر . »

والصحيح ان توفيق كان في تلك اللحظة مستقراً – مستقراً في أعلى الحقل يصيح منادياً أباه : « يا .. بيا .. » فخرس الأب ولم يرد ؛ وتعالى النداء ، والاب لا يبالي ولا يخرج من القبو . وإذا بطلقي رصاص يدويان ، والدجاجـات تصيح متبعثرة ، وصوت توفيق يقهقه : « قتيلان يا بو توفيق .. ديك ودجاجة ، علفة فاخرة اليوم على نبع الباروك ! »

واندفع ابو توفيق من غرفته زوبعةً من غضب ولعنات ، فلما واجه ابنه المنتصب على حافة الحقل من علٍ هزته للوهـــلة الاولى نشوة من فخر الابوة إذ أبصر توفيقـــاً مارداً عريض الكتفين ضخم الذراعين ، يتركز طربوشه الاحمر فوق حاجبـه الاسود الثخين ، ويثور شارباه الدقيقان عـــلى انف ملوكي ، وتحدق به عينان اكبر من الدنيا لأنها تهيمنان على الدنيـــا ، وينفتح قميصه الاخضر عن عنق كأنه احـد أعمدة بعلبك، ويدور حول وسطه زنار من الجلد عريض لا تـدري كيف استقر إذ يبدو ان ليس تحت ذلك الصدر المشرئب الهائل خصر ، ويصل الزنارَ بالجزمة العسكرية اللماعة بنطلون رصاصي تفرّش جانبـاه كجناحي طائرة .

« صبحنا جنابك يا بو توفيق ! » صاح الفتى بأبيه مداعباً .

وصمت الوالد ، وهو بين النقمة على ابنـــه لقتله الديك والدجاجة ، ولهدره رصاصتين ثمنها ليرتان ، وبين رعشة الحياة في نفسه رأت نفسها تتقمص متجسدة في مارد حي يتبوأ أعـلى الحقل يهزأ بالدنيا ويطلق في وجهها الرصـاص . وتوثب الأب كأنه يتحفز للقفز الى ابنه ليخنقه أو ليعانقه .

وعاد توفيق يحيي اباه متوددا : «صبحنا جنابك يا بوتوفيق .. لعينيك يا بو توفيق ! » وارتفعت يمينـــه بالابيض اللماع ، فاذا البراري تمتلىء بدوي ست رصاصات ، وقهقهة مطلقها ، وصياح ابيه : الله يحقك !

ونط توفيق نحو ابيه ، بعد ان ارجع الفرد الى زناره ، فاذا هو يريد خمس ليرات لنزهة مع اصحابه عـلى « نبع الباروك » وإذا هو يزيدها ديناً – ككل ما يأخذ من أبيه – يعيـده له متى دخل في الجيش فيصبح جندياً فضابطاً فجـــنرالاً . وإذا بالأب ، كالعادة ، يوبخ ابنه ويهدده وينصحـه وينتهي الأمر ، كالعادة ، بخمس ليرات يطويها توفيق في جيبه، ويقبـــل يد ابيه ، ويحمل القتيلين ، وينصرف عائـداً نحو القرية ، متغنيـاً بحداء كأنما انفجر من حنجرة الوادي :

« يوم الكر ويوم الفر الأعدا منا مجرودي »
« البحر بيخشانا والـــبر إن زلغط صوت الباروديّ »

وواكبت نظرات الأب ابنه متحسراً على الليرات الخمس حالماً بيوم يرى فيه وحيده جنرالاً يستعرض الجنود في بيروت .

*

في الليل داهم الشبيح « كرم الهدهد » فدخل القبو صائحاً : « يا تعسك يا بو توفيق ! »

وانتصب ابو توفيق في العتمـــة يستغرب ولولة الناطور عدوه ، وهذه اللهفة المستجدة ، مستفهماً ، فصعقـــه الخبر :

« توفيق قتـــل سائق سيارة . . الله يلعن السلاح والرصاص وطيش الشباب .. تلاقت السيارتان في طريق ضيق .. انت .. انا .. ابوك .. امك ... فاطلق توفيق عـــلى سائق السيارة الغريب اربع رصاصات .. حالاً قبض عليه الدرك .. يا تعسك يا بو توفيق ! »

وراح الناطور يحاول التمويه عن فرحـــه بكثرة الكلام والتفجع لمصاب عدوه .

*

نعيم هادىء من كد وانتاج استحال جحيمـاً من بلبلة وهموم . اين تلك الهناءة والسكون يسودان حقلاً هو سيده ، من هذا الاعصار الذي عصف بابو توفيق ، فاذا بـــه متوسل يطوف من سراي الى سراي ، ومن سجن الى سجن ... في كل يوم يهيء الطعام زوّادة يرسلها الى ابنه ، وهو بين الانتظار في مكتب المحامي ، الى الخنوع لصلف الدركي ، الى قرع ابواب المتزعمين ، الى مفاوضات تطوع للقيام بهـا وجوه الضيعة بينـه وبين اهل القتيل ..

وجاء اليوم الكبير ، يوم محاكمة ابنه ، فدخـل ابو توفيق قصر العدل في بيروت ، فاذا هنالك باحـــة كسوق النوَر ، يتراكض فيها رجال لبسوا اثواباً فضفاضـة سوداء كالغربان ، وفي المماشي حلقات كل واحـدة منها استدارت حول شخص يسمونه « الاستاز » . وتتألف الحلقة في الغالب من قرويـــين يتوسلون او ينفعلون ، و« الاستاز » يشرح بعينيه ويديه مؤكداً واعداً متبرماً بموكليه . ويرمح هنا وهناك غلام يحمل صينية ، ثم تسمع نداءات : «الشاهد علي سالم بزعوق .. الشاهد طنوس مرعي جرجوره .. واحد مُرة ، واربعـة مظبوطة لغرفـــة النقابـة .. « الاستاز » اديب الطيوني مطلوب من النائب العام .. سبعة كولا لحسن بك جبجاب .. »

ووقف القروي مذعوراً ، مديراً بنظره ، يفتش عن محاميه فلم يره ، غير انه لحظ يداً ترتفع بمسبحة صفراء ، تميز حاملها فاذا هو محاميه مقتعداً عبـــدة كراسي ورجله على علبة ماسح الاحذية ، منكباً عليهـــا تظلله شجرة تحتها عدة «اساتزة» يتكلمون كلهم دفعة واحدة متضاحكين .. ولقد أنس ابو توفيق برؤية الشجرة ، وبحركة عفوية مد يده الى وسطـــه كما لو كانت الفأس في زناره ، ليقتطع الأغصان اليابسة . ولكن اشارة من محاميه نبهتـــه فصحا ، وأقبل يسلم عليه . ورد المحامي الســـلام ، وسأله عن « الغرض » هل أتى به ؟ اجاب ابو توفيق : « نعم يا سيـدي » وأدخل يده في جيبه فما استطاع ان ينتزعها ، فان اصابعه كانت تشد على حزمة الالف ليرا لتسمرها في مكانها ، وتتحسس في الخيط الذي يلفها بخشونة الحبل الذي لفت به البلان ، وحزمت به الحطب ، وانتشلت به الوف الدلاء من البئر ، وشدت به مئات الصحاحير .. واقتلع ابو توفيق يده من جيبه ، فأفرغ في كف المحامي جهود السنين .. وقبل ان يغيّب « الاستاز » المئات العشر في جيبه اهوى ابو توفيق على يده ، يريد ، من غير ان يريد ، استرداد ماله .. ولكنه استدرك خجلاً فموّه بقوله : « اسمح لي بالخيط يا استاز . »

وفيما كان الفلاح الغريب يفتل الخيط الاحمر باصبعيه ويلفه على ابهامه ، كانت المغامزة تسري بين « الاساتزة » الجالسين ، فانبرى احدهم مخاطباً القروي : « لا تكبر عليك ياعم ، اصعبها الدفعة الاولى .. بعد قليل تتعود .. » وضج «الاساتزة» بالقهقهات .

ونودي على « الاستاز » المحامي الى قاعة محكمة الجنايات ، فتهادى اليها يتبعه ابو توفيق . ولم يتبين ابو توفيق في القاعة الرهيبة احداً لأول وهلة . حتى إذا ألفت عيناه جوها المجهم ، رأى القضاة غرباناً ثلاثة جاثمين بوجهه على مرتفع ، والى يمينه بين دركيين مسلحين منتصبين تكوم ابنه توفيق مشعث الشعر طويل الذقن ، شـــارباه في فوضى ، حقيراً ضامراً صغـــيراً في قفص .

« بريشة السيدة دمشقية »

لقد حلم ابو توفيق بان يرى وحيـــده في بيروت وحوله الجنود ، قائداً ، لا اسيراً في قفص المجرمين !

وفيما يتفتت قلب الوالد وينسحق ، كان «الاساتذة» المحامون يتراشقون كلاماً اصابت اذني القروي منه شظايا : « المادة ١٧٤ ... لائحة الادعاء ... اعتراض في الشكل ... » ولم يدر الا ومطرقة القاضي تقرع « وأجلت الجلسة الى ... » بعد ثلاثة اشهر .

وجاءت الطبيعة تتعاون مع الناس على اضطهاد ابو توفيق ، فبارت المواسم في تلك السنة ، وكان صندوقه قد فرغ من المال المدّخر ، وتراكمت عليه ديون يدفع فائدتها خمسة بالمائة في الشهر لمرابي القرية ، واسفرت المفاوضات مع اهل القتيل عن دية احد عشر الف ليرا ، وقد لعب الناطور دوره ، فلم يفتأ يوغر صدور اهل القتيل متر حماً على شباب فتاهم المغـــدور ، مردداً وصف هول الجريمة ، مذكراً اياهم بان ابا القاتل رجـل ملاك موسر يختزن الألوف .. ثم خلق في الضيعة نقمة على ابو توفيق لتمنعه عن الدفع وحيلولة بخله دون تخفيف الحكم عن ولده وتصفيـة الجو والتعويض العادل عن حياة فتى قتيل .

وكان من الطبيعي ان يفكر الناس – والنـاس في القرى يقررون امور جيرانهم – ببيـع كرم الهدهد . فاحتاط الناطور لهذا ، وبسط لمن يهمهم الامر عيوب الحقل ، مستشهداً بمحْله في تلك السنة ، واستعرض اسماء الذين اثروا من شرائهم العقارات في بيروت ، والذين افتقروا حين وظفوا اموالهم في الضياع ، وكيف ان ابو توفيق سيضطر في آخر الامر لبيع الحقل ، فيحسن بمن يود شراءه ان يترقد له . ثم اخذ يحث المرابي عـلى الضغط لاستيفاء الدين ، شارحاً له ان الخمسة بالمائـة في الشهر « فائظ » متواضع ، فصغار موظفي الحكومة يدفعون للدائنين ثماني او عشر ليرات في الشهر عن كل مائة ليرا . والمزارعون في البقاع يدفعون فائدة المائة ستين لاربعـة اشهر . ولو ان المرابي يهدد ابو توفيق لاضطر بحكم الظروف ان يزيد له «الفائظ» .

*

عار عليه ان لا يقتدي ابنه . عار عليه ان يبيـع حقـــله . يصغي الى احاديث الناس ، ويستمع الى تهديد المرابي ، ويرتسم وجه ابنه في قفص المتهمين ، فيعزم على بيع الحقل .. ويذهب الى الكرم ينظر شجراته ، وهي كذلـك اولاده ، فيصيح : « لن ابيـع ! »

بعض المصائب يؤجّل يومُها ، ولكن وقوعها محتم ، فانتهى الامر بدفع دية القتيل ليسقط اهـله حقهم ، فباع ابو توفيق كرمه . لقد قضى ابو توفيق اكثر حياته ورأسه محني على ارض يزرعها او يحرثها او يحصدها . ولكنه حين حنى رأسه ليوقـع صك البيـع شعر انه ، لاول مرة في حياته ، لم يحن رأسه بـل طأطأه .

وعاد الفلاح المنكوب ، يسكن بيته في القرية بعد ان فقد حقله وقبوه في البرية ، ولم يتحقق كم كان حبه لزوجته ، وشغفه بولده الا بعد ما غمرته وحشة الوحدة . وصار يحس حين التقائه بالناس انه يواجههم عارياً من ثيابه وجلده ، بل صار يحسب ان كل كلمة يسمعها هي غمز عليه وتحقير ، فان من يبيـع ملكه في قرى لبنان يقطع الحبل الذي يشده الى مرساة العيش ، ويرمي من يده العَلَم الذي يرفعه في معركة الحياة .

وبعد الاسابيـع الاولى ترسّخ الهم في نفسه وتحجرت سحنته في انقباضة من الحزن والنقمة ، واعتزل الناس ، فكثر تحداثه لنفسه بصوت عال ، ودب النزق الى نبراته ، وتضعضع تفكيره ، فلم يعد يدري ماذا يفعل وكيف يعيل ولده الحبيس خـــلال الاعوام الستة التي قضت بها عليه المحكمة .

تهدأ النفس حين تستقر على صعيد ما . بالأمس كان ابو توفيق سيد حقل ينتج الفاكهة والخضار ، ويختزن المال ، وينظر الى الدنيا من ذروة سؤدد يتبوأها ... واليوم صار حطاباً يشتغل مياومة . وكثيراً ما كان يقصد الى البراري فيقتلـع البلان والوزال والقصعين من مشاع القرية وحفـافي الدروب العامة ، وكان يصطدم ابداً بعدوه القديم الناطور ، يحاول منعه من الجولان في المشاع ، او قلع الاعشاب من جوانب السواقي ، اذ ان ابو توفيق اكتشف تجارة رابحـة من بيـع عشب ينبت حوالى الماء اسمه عشبة « القطع والوصل » يشرب ماءها المغـلي من آلمته اوجاع الرمل او الحصى في الكلى . وقد وجد لهـذه العشبة سوقاً في بيروت ، فكان ينزل الى العاصمة مرة في الاسبوع مصطحباً اكياساً ملأى بالعشبة الشافية .

غير ان انهماكه بالادوية لم يقتصر على بيعه عشبة « القطـع والوصل » بل كان ينفق الكثير في الصيدليات شارياً ادوية لمختلف الامراض التي داهمته ، واخصها دوار كان يصيبه حـين يحتطب او يقلع البلان او يحمله . وصار حمله يصغر شهراً بعـد شهر ، ومحطات استراحته تتعدد ، وثقل سمعه فأصبح حـــين يتحدث الى نفسه يرفع صوته كي يتمكن من سماعه .

اما الحقل ، وابو توفيق مضطر للمرور به في طريقه الى البراري ورجوعه منها ، فكان لا يلتفت اليه ولا يراه ، بل كان كلما حاذاه في دربه يقفل عينيه . وكانت له في ذلك رأفة به فلا ينكسر قلبه لرؤية الحيطان المتهدمة والهرم الذي دب في اشجاره واليبس في اغصان تفاحه والعشب الذي نما على سطح قبوه . يد الخراب تبطش حين تغيب يد العناية . ولكن هذا التفسير لم يؤمن به الناطور الذي انطلق لسانه باشاعات جديدة : ان الحقل أمحل لأن ابو توفيق سلط عليه عين السوء ، تعالوا نراقبه مختبئين لنروا كيف يطبق عينيه كلما حاذى الحقل ، واستمعوا الى تمتماته — هي رقية الشيطان يرددها مسلطاً على الكرم لعنة ابليس .

كان ذلك في عشية يوم صيفي ، وحملُ الحطب قد تقلص على ظهر ابو توفيق الى حزمة ، ولكنه كان ثقيلاً ثقيلاً في تلك العشية يستوقف حامله دائماً ليستريح لاهثاً متعباً دائخاً .. وبغتة وجد الفلاح المضنى نفسه منهكاً حيال الحقل مرغماً على التوقف ، فتهاوى الحمل عن ظهره ، ولم يقفل عينيه ولم يتمتم ، بل واجه الكرم متفرساً به : « يا ويلهم من الله ! عشب على السطح ، وحيطان متهدمة ! » وتطلع في الزيتون ، في الطفيلية البيضاء طمست الاغصان ، فاغمض عينيه وراح يحك جلده كأن القطن الذي انتشر على اغصان الزيتون جربٌ في جلده ، ثم فتح عينيه ، وقعد ، يجيلها بضراوة في طلول البستان . كل ما ابصر استثار دقات قلبه ، واشعل دمه وانفاسه ، فهو يلهث ويلعن . ووقفت عيناه على عنقود في دالية لا تحمل سواه ، وادرك من اصفرار اوراقها وضمور اغصانها علتها ، لقد وضع هو بيديه حجراً كبيراً فوق التربة التي تعلو جذورها ليقيها لسع الصقيع وحرقة الشمس ، فأين الحجر ؟ اين الحجر ايها المجرمون ؟ إنكم تقتلون الدالية يا كفرة ! ووثب ابو توفيق الى حيث الدالية ، فاحتمل اليها حجراً كبيراً حمله بيديه القويتين الى فوق رأسه ، ورمى به ، ثم انتصب ويداه على خصريه فخوراً ظافراً يلهث ويتصبب العرق منه ، وتصخب الالفاظ مزوبعة على شفتيه وشاربيه في غوغاء من فوضى وبلبلة . ورفع يديه الى ما فوق رأسه يريد ان يصيح بشيء ، فغامت عيناه وانتفض قلبه ، وتراخت اعضاؤه ، فهوى ، واصابع يمناه تتلمس شيئاً لتتمسك به ، فاذا هو حين انطرح على الارض يشد باصابعه على العنقود بصلابة تشنّج الموت .

بالطبع ، كان الناطور افصح الذين واكبوا الجثة الى القبر : كل حياتي كنت اقول انه حرامي . في ايام عزه كان يسرق من حقول جيرانه في الليل . لأي امر اذاً كان يسكن البرية لا الضيعة ؟ وفي ايام فقره كان ينهب البلان والقصعين والحطب ، واخيراً ضربه الله متلبساً بالجريمة ، وخاتم ابليس ذلك الحيط الاحمر ملتف على ابهامه . سبحان الله ما أعدله !

ووقف اهل القرية حول النعش ، فقرروا شيئاً خطيراً : ان الميت خسر حقه في الرحمة ، حين اهمل تربية ابنه ، وحين سلط عين الحسود ، وحين سرق .

*

من عادة اهل « الشوف » في لبنان ان لا يذكروا الميت الا بخشوع ، فهو على شفاههم « المرحوم » قبل اسمه . اما صاحب « كرم الهدهد » فهو إن ذكروه : ابو توفيق حمد الساقي ، وما هو بـ « المرحوم » .

سعيد تقي الدين

المعهد العالي للتعليم الليلي

التابع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت

محلة القنطاري — تلفون : ٣٤-٦٤

المؤسسة الوحيدة التي تكفل لك دراسة المواد التجارية : مسك الدفاتر والمحاسبة والحسابات التجارية والمراسلات

باللغة العربية ، بطريقة المراسلة

طريقة عملية فذة ، رسوم معتدلة ، تسهيلات في الدفع

تلاميذها منتشرون في العالم العربي والمهاجر الافريقية

اطلب برنامج الدراسة وكافة المعلومات والايضاحات ترسل اليك مجاناً

اقسام المعهد النظامية

الثانوي — الابتدائي — الانكليزي — التجارة والآلة الكاتبة — الكهرباء والراديو

التدريس كل يوم من الساعة ٦—٩ مساء